



(اكيٿو) عيد رأس السنة البابلية الجديدة

حنا روفو

في ربيع كل عام كانت بابل تتحول الى بؤرة التقوى والسورح المتأصلين في نفوس شعب سومر واكد ففتحة انظار كل الناس طوال احد عشر يوماً صوب المراسيم الدينية الاحتفالية القائمة في العاصمة باعتبارها المجيبة عن امال والام كل مواطن يعيش على ارض وادي الرافدين. وكان الاعتقاد السائد هو ان البشرية تشترك في التجديد العظيم الحاصل في الطبيعة، وان الماضي قد انمحي، والكون قد عاد وقتياً الى حالة الفوضى الشاملة، وان مصير البلاد خلال العام التالي يتوقف على الحكم الذي ستتفوه به الالهة. ولم يكن بمقدور اية طقوس خالية من التعقيد والسحر ايجاد حل للمعضلة الواقعة لامحالة ووضع حد للخوف الهائل من المجهول الذي يلف كيان الجنس البشري. وينبثق عيد رأس السنة (اكيٿو) بالشكل الذي كانت تتم فيه مراسيمه في بابل خلال الالف الاول (ق. م) من تأثير مزدوج لتأريين قوبيين من العفائد الدينية السائدة اولهما عبادة الالهة الخصب ذات الاصول العميقة الغور والشائعة في جميع انحاء الشرق الاذننى منذ عصور ما قبل التاريخ، وثانيهما نظرية

نشأة الكون السومرية الاحداث تاريخاً نسبياً. وكانت كل دويلات المدن السومرية تؤمن خصوبة حقولها ومواشيتها وسكانها بواسطة الزواج المقدس بين الهه وآلهة المدينة. ويأتي ذكر مثل هذه الزيجات في نصوص تعود الى عصر سلالة اور الثالثة، على سبيل المثال - بين (ننكرسو) و(بابا) في لكش وبين (نانا) و(كولا) في اور، وفي اوروك بين (انو) و(انانا)، وبين انليل و(ننليل) في نفر. وتقام مراسيم هذه الاحتفالات وتدعى بالسومرية (زاكومك) (عام جديد) مرتين كل عام في الربيع والخريف، وتنظم وتدار من قبل الامير او الحاكم المحلي الذي يبدو انه كان يلعب دور الاله الذكر في التقمص البشري للاتحاد الالهي وذلك منذ وقت جد مبكر. ثم طور رجال الدين في (نفر) قصة نشأة الكون فنسب خلقه الى انليل بعد انتصاره على تيامات وقوى الظلام. وبعد الخليفة، اصبح مجمع الالهة العام برئاسة (اله الريح) الذي يجمع بيده مصائر الارض وقدر البشرية. ويبدأ عيد الاكيٿو في بابل في اليوم الاول من نيسان اذ كان البابليون يستلهمون عامهم بشهر نيسان. ويستمر العيد لمدة احد عشر يوماً وتخصص الايام الثمانية الاولى للتكفير حيث يفترض ان الاله مردوخ يكون

محتجزاً اثناءها في (جبل) العالم الاسفل. ومن الفاتح من نيسان وحتى الرابع منه لا يقم اي من العباد في معبد(ايسا كلا) عدا الكهنة حيث تقام الصلوات وتتشد التراتيل، في اليوم الرابع وبعد الغروب يقوم الكاهن(الاوريكالو) بتلاوة قصيدة (اينما ايليش) (قصة الخليفة) كاملة. ويكرس اليوم الخامس للتطهير حيث يقوم الكاهن برش الماء المطهر في اركان المعبد ودق الطبول وحرق البخور وتلاوة الادعية، ثم نحر خروف وتمسح جدران المعبد بدمائه ويرمي جسمه ورأسه في النهر. وكان يفترض ان كبش الغداء هذا يأخذ معه كل آتام تلك السنة. وفي اليوم الرابع يتوجه الملك الى بارسسيبا(برس نمرود، عشرة اميال جنوب بابل) كما يستدعي الاله (نبو) الذي يتوجب عليه فك اسر ابيه مردوخ من سجن العالم الاسفل ويعود مصطحباً تمثال نبو الى ايسا كلا بعد يوم. وفي باب المعبد يتخلى الملك عن شارة الملوكية - الصولجان، والحلقة والسيوف - مسلماً ايها الى الكاهن (الاوريكالو) الذي يضعها على كرسي امام مردوخ ثم يلطم الملك على خده، وكان الكاهن يرافق الملك الى حضرة الاله (بعل) وعليه ان يجره من اذنيه ويركعه على الارض وعلى الملك

ترديد مايلي مرة واحدة فقط: لم اذنب باسيد البلدان ولم اغفل ربوبيتك.. ولم اخرب بابل ولم اسبب لها الهوان.. ولم انس مناسك معبد ايسا كلا.. لقد حرسنا على بابل ولم اقوض جدرانها.. فيقوم الكاهن بثمانية مليكة قائلاً: لا تخف.. سيستجيب الاله بعلى لصلواتك.. وسيعظم سلطانك.. ويعلي ملوكيتك.. وسيباركك الاله بعلى الى الابد ويحطم اعدائك. ثم يعيد الكاهن لطم خذ الملك، فإن سالت دموعه فهذا يعني ان الاله بعلى راض، وان لم تظهر الدموع فتلك دلالة على ان الاله بعلى غاضب وان العدو سينتفض ويسبب سقوطه، وفي غضون الايام التالية تصل الى بابل تباغاً الاله سبار كوثا، كيش، اوروك، والمدن الاخرى. وفي اليوم الثامن من نيسان ينبعث مردوخ من جديد فيدخل الملك ضريح الاله ويأخذ بيده - وهذه اشارة على المشاركة الملكية في العيد - وتستمر الاحتفالات الى اليوم الثاني عشر من نيسان اذ تعود الوفود والالهة التي كانت قد جاءت الى بابل راجعة الى مننها، كما يعود الكهنة الى معابدهم والملك الى قصره ويختتم الاحتفال بعيد رأس السنة العظيم.

المصدر/ العراق القديم - جورج ر.و.

الكلدان في كتابات هيرودوت

نوري بطرس

يعتبر هيرودوت المؤرخ الاغريقي ابا للمؤرخين، فقد الف كتاباً يرجع تاريخه الى ما قبل الميلاد باكثراً من اربعمئة سنة، اذ عاش في الفترة (٤٨٤-٤٢٥) ق. م، وكتابه يدور حول تاريخ تلك الفترة وشعوبها مثل بابل وآشور وفارس والمناطق المحيطة بهذه الاقطار، وقد زار هيرودوت بلاد ما بين النهرين، كما زار آسيا الصغرى ومصر وصقلية قاطعاً آلاف الكيلومترات، وكتب عن عادات تلك الشعوب وتقاليدها وطقوسها وصفاتها وارضها وناسها ومناخها. وقد اخترنا من تلك الكتابات نماذج مما قال عن البابليين والدولة الكلدانية، وعما شاهدته بنفسه. ويلمس القارىء موضوعه وانشافه وعدم تحيزه ويقول عن بابل انها من اشهر مدن ميزوبوتاميا، وهي مقر بلاط الملوك، ويفصلها نهر الفرات ويقسمها الى قسمين، وبيوتها تتألف من ثلاثة او اربعة طوابق، وهي ذات ابواب مصنوعة من النحاس، ويوجد فيها معبد مكون من ثمانية طوابق او ابراج احدها فوق الآخر، وسلم حلزوني منحدر الى الاعلى، وهو بناء مقدس فيه تمثال كبير وطويلة ذهبية كبيرة، ويقول الكلدانيون انه استخدم في بنائه ثمانون قطعة من الذهب، وهناك امرأتان حكمتا بابل الاولى اسمها سمير اميس والثانية هي نيتوكريس، ويستطيع المسافر بسهولة ان يصل الى مدينة بابل عن طريق النهر، وفي سهول بابل تنمو الغلال وتزدهر بشكل رائع حتى انها تنتج سنوياً مايتي صنف من المحاصيل، وان عرض اوراق القمح والشعير يبلغ اربعة اصابع، والمطر في بابل قليل ومع ذلك فالحقول تروى بماء النهر، والناس في بابل يلبسون تنورات كتانية تصل الى الارجل وعلى اكتافهم معطف صغير ابيض، ولكل واحد منهم خاتم وعصا للمشي مزخرف مثل نقاشة او وردة او زهرة زنيق او نسر. وقد تعلم الاغريق من البابليين مؤشر الساعات والساعة الشمسية وتقسيم اليوم الى ١٢ ساعة، وقد ورد ذكر بابل في الكتاب الاول من تاريخ هيرودوت، وفيه ذكر وصول كورش الى بابل ومحاصرتها لمدة سنة وسبعة اشهر، وبعد احتلالها تم تقسيم كل البلاد الى عدة اقسام، واصبحت تسمى بعد ذلك مرزبانية بابل. ويبدو ان هيرودوت لم يكن يعرف ان بابل عاصمة الامبراطورية البابلية- الكلدانية الاخيرة ٦٢٥-٥٣٩ ق. م. وكانت المدينة واسوارها قد بنيت من الحجر (الطابوق) بعد وضعه في اتون النار، وحولها خندق محفور عند تلك الاسوار، وفي اعلى السور بنيت مواضع تقابل الواحدة منها الاخرى، وبينهما مساحة تتسع لمرور عربة يجرها اربعة خيول.

لقد عاش هيرودوت في عصر بريكلس وهو العصر الذهبي لنمو وتطور الحضارة اليونانية التي اعطت للانسانية علوم التاريخ والطب والفلسفة والمسرح وغيرها، وكان قد تحدر من عائلة يونانية كانت تتمتع بمركز محترم في مدينة هاليكارناسس، وكان عمه او احد اقاربه قد ذاع صيته كشاعر ملحمي، وكان الاحتلال الفارسي قد جعل اية حرية سياسة غير ممكنة، لذلك كرس نفسه للدراسة والمطالعة والسفر والارتحال الى بلدان العالم، يضاف اليها معرفته العميقة بشعر هوميروس اذ كان قد اطع على مجمل الآداب اليونانية، ونجد في نصوصه نصوصاً اخرى من كتابات هسيود وهيكانوس والشاعرة سافو التي عاشت في القرن السادس ق. م، والحكيم سولين والمسرحية اسخيلوس والشاعر بندا، ومعظمهم عاشوا في القرن السادس او الخامس قبل الميلاد، ومن المعقد ان معظم رحلاته قام بها هيرودوت وهو لم يبلغ بعد سن الخامسة والثلاثين، وقام برحلات كثيرة حتى وصل العاصمة الفارسية سوسا، وعندما بلغ الاربعين من العمر شرع في تدوين احداث عاشها وعاصرها وهو شاهد عيان لما كتب، وبذلك يعد كتابه (التاريخ) كاملاً مكملاً من جميع الوجة، وقد اخذ عنه ارسطو بعض المقطعات، وانطفأت شمعته عمره في عام ٤٢٥ ق. م في مدينة نوزي.

وحول طقوس الكلدان يقول هيرودوت: ان كاهنة الالهة قد اختيرت من قبل الربة من بين جميع نساء الارض، حيث ينزل الاله شخصياً وبنام في هذا المضجع حيث تقضي المرأة ليلتها في المعبد، وهي نفس طقوس مدينة طيبة المصرية ايام الفراعنة، واذا ما اراد رجل بابلي معاشرته امرأته عليه ان يجلس في غرفة يقرب مبخرة يحترق فيها الطيب وتجلس المرأة قبالة وفي الفجر كان عليهما الاغتسال. ومن بعيد كانت تلوح في افق الناظر زقورات بابل وهي تغتسل في عطرها قبل المغيب.

التقويم ... في التاريخ

ومضة

تلويحة طفلة

شعاع الشمس ينساب من خلال فسحات اغصان واوراق الاشجار في نهار ربيعي جميل .. الوجه حزين، والناس يمرحون ويضحكون وهم يمشون فرادى ومجاميع، وهذه عائلة، يمشي الاب متبهاً، وزوجته تحيط برقبته سلاسل من الذهب، وحول معصمها أساور مرصعة باحجار كريمة، واصابعها تختنق بخواتم من الماس والياقوت، والطفلة بين ذراعيها ترفع رأسها ملوحة ببديها.. لفت نظرها.. تبسمت له وارسلت اليه قبلة.. فابتسم قلبه وتابعتها عيناه وهي تبسط يدها لكل عابر سبيل لتناولها قطعة حلوى وكأنها تقول: تعالوا شاركوني طعامي، ويدها الاخرى تلوح وهي تضحك.. يفترش الشاب ذو الوجه الحزين الأرض ممسكاً بيده غصن زيتون.. المحتفلون ينظرون اليه مستفهمين، لماذا هو جالس على الارض؟ وما الذي يفعله؟ ويرسمون علامة الصليب وبايديهم القناني والاقداح!

كانوا ساترين الى مكان للاحتفال بعيد (شيرا) احد القديسين، لكن أحداً منهم لم يدعه.. انزلت الطفلة من بين ذراعي أمها وهرعت اليه، فتبعها باقي الاطفال وحلقوا حوله، وتقاوسوا الخبز.

سلام مجيد

لكهنة الهيكل؛ وهناك كان من يستغل اعلان الشهر الإضافي، ليؤول الى منفعة أصحابهم الذين يعملون في الوظائف، جاعلين من المسألة مشروعاً شخصياً. والمفت في الأمر أنه عندما كان يسافر شخص من مدينة الى أخرى، في زمن يوليوس قيصر، كان يجد نفسه أحياناً منتقلاً من سنة إلى سنة. هذا ما دفع بالقيصر في سنة ٤٦ ق. م. أن يبادر باصلاح التقويم. معتمداً السنة المدارية ٣٦٥ يوماً وربع، مقسمة إلى اثني عشر شهراً، وتجمع ٣٦٥ يوماً. أما الأرباع فكانت تتراكم كل أربع سنوات، ويضاف ذلك اليوم إلى شهر شباط، وتسمى بالسنة الكبيسة.

الميزة الأخرى لهذا الإصلاح كانت في إعادة الاعتدال الربيعي إلى موعده التقليدي في ٢٥ آذار حسب التقويم الروماني. فطلب ذلك تمديد السنة ثلاثة اشهر، والتي عدت أيامها ٤٤٥، وأطلق عليها بحق "عام الإرتباك". بدأ العمل بالتقويم الجديد في الأول من كانون الثاني سنة ٤٥. وبعد يوليوس جاء أوغسطس قيصر، فأعطى اسماهما، فيما بعد، لشهرين في التقويم الجديد. في سنة ٣٢٥ ميلادية، إنعقد مجمع نيقية، وفيه تقرر أن يكون موعد عيد القيامة في أول يوم أحد من بعد البدر الكامل تقريباً، الذي يلي الاعتدال الربيعي. وذلك تقادياً للترامن مع الفصح اليهودي. هنا تجدر الإشارة إلى أن تاريخ الاعتدال الربيعي كان قد زحف من يوم ٢٥ آذار في سنة ٤٥ ق. م. إلى يوم ٢١ آذار في سنة ٣٢٥ م. والسبب في ذلك يعود إلى طول السنة بحسب التقويم اليوليوي بفترة (١١ دقيقة و ١٤ ثانية) زيادة على السنة المدارية الصحيحة (٣٦٥،٤٨،٥س،

إثني عشر شهراً، مع شهر يضاف كل بضع سنوات لتصحيح الخطأ التراكمي. المصريون القدامى غيروا تقويمهم القمري، بضعه قرون ق. م.، الى آخر اعتمدا فيه نجمة تظهر في السماء، بالتزامن مع فترة الفيضان في النيل. وكان لهم كما للبابليين أيضاً، مزاوول شمسية منذ القرن الثامن ق. م. في أوروبا الغربية هناك أنصاب وتمائيل حجرية أقامها الإنسان منذ العصر البرونزي، ليحدد بواسطتها الفصول. وأشهرها تلك التي في ستونهينج، جنوب غرب انكلترا.

في القديم كانت دورة الفصول، الانقلابات والإعتدالات الفصلية تعد مناسبات دينية تقام فيها الطقوس والإحتفالات. الهنود الحمر في أمريكا الشمالية كانت لهم طقوس ورقصات إحتفالية في منتصف الصيف. في أوروبا الوثنية كانت تقام الإحتفالات بمناسبة الانقلاب الشتوي، قبل أن يصبح ذلك عيداً في الدين الجديد. أما شكسبير في مسرحيته، وصف المفعول السحري لليلة منتصف الصيف.

إن جذور التقويم الحديث ترجع إلى التقويم الروماني، الذي كان قد أنتق من تقاويم رومانية واغريقية يعود منشؤها إلى القرن الثامن ق. م. أقدمها كان ذا عشرة اشهر، ثم أضيف اليه شهران آخران في القرن الأول ق. م. المشككة في التقويم القمري هي أن الأشهر الاثني عشر تجمع ٣٥٤ يوماً؛ في حين إن السنة المدارية تتألف من ٣٦٥ يوماً وربع تقريباً. هكذا يتراكم الفرق كل ثلاث سنوات ليصبح شهراً كاملاً. ولكي يبقى التقويم متماشياً مع السنة الفصلية، أعتمدت فكرة الكبس؛ وذلك باضافة شهر كل بضع سنوات. هذا التدبير كان غالباً ما يترك

مثلما يسأل الأطفال اباهم اليوم عن النجوم أو عن شكل القمر المتغير، سأل الناس أنفسهم في القديم الأسئلة ذاتها. كانت الأجوبة تأتي عادة بشكل أساطير ومعتقدات، تحمل في طياتها التعظيم والإجلال لذلك النظام الموضوع في السماء. منذ زمن الحضارات القديمة لوحظ الإنتظام في حركة الأجرام السماوية، وجرت محاولات لمتابعة الظواهر التي تحصل في السماء. إن القابلية على إيجاد روابط بين الأحداث في السماء والحياة اليومية، كانت تتطلب معرفة فلكية. وإن المقدره على تحليل تلك الظواهر والتنبوء بها، كانت تثنى عالياً.

من الصعب القول متى بدأت بالضبط أولى المشاهدات الكمية للأجرام السماوية، أو متى بدأ التنجيم. إذ منذ القديم كان النجم القطبي دليلاً للبحارة. بينما نجوم أخرى كانت بمثابة تقاويم بدائية للتنبؤ بمواسم الزراعة والحصاد. كذلك كانت هناك تقاويم وطقوس دينية مرتبطة بأوجه القمر، دوراته، التغيرات المنتظمة في ظهوره، وخسوفاته. فأصبح القمر بدورانه في السماء، مصدراً لكثير من الأساطير والتقاليد القديمة. ولا يزال يوجد كثيرون ممن يعتقدون بأن تأثيره سحري على الإنسان. البابليون وأبناء وادي الرافدين، كانوا يعتقدون بأن للكواكب ومساراتها تأثير على مستقبل الأمم وملوكها. فالتنجيم ربما بدأ في هذه البلاد في القرن العاشر ق. م. ومنها أخذ الاغريق، ثم انتشر في العالم الغربي من القرن الثاني ق. م. وحتى القرن الثاني الميلادي. إذ وصل ذروته مع تلماس، الذي غدت مؤلفاته مرجعاً رئيسياً إلى اليوم.

الصينيون كان لهم تقويمهم منذ القرن الرابع عشر ق. م. البابليون تبعوا تقويماً قمرياً ذا

سعيد لوقا (تلخيص وترجمة بتصرف)